مقدّمة الطبعة الثانية

تصدرُ هذه الطبعة الثانية بمناسبة مرور ١٠٠ عام على الوعد المشئوم الذى عرف تاريخيًّا بـ (وعد بلفور) وعرّفه المؤرخون العرب والمسلمون أيضًا (وعد مَن لا يملك لمن لا يستحقّ) وقد ظهر الكثيرُ من الوثائق التاريخية التي حجبتها الدول الاستعمارية المتآمرة على العروبة والإسلام في هذه الحقب التاريخية المصاحبة للوعد المشئوم وقد أوضحتِ الوثائق التي كشف عنها- بجلاءٍ- أنّ هذا الوعد من وزير خارجية بريطانيا لم يكن وعدًا شخصيًّا أو بريطانيًّا وإنّما كان ضمنَ اتّفاقٍ دولي ومؤامرة عالمية وخيانة تاريخيّة شارك في جريمتها دول أوروبية (روسيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا..... إلخ) ودولٌ أمريكية (الولايات المتحدة وكندا...) ودولٌ عربية (المملكة السعودية والأردن...) حيث اتّفق جميعُ مَن أجرم مِن الحكّام وقادة الدول في هذا التاريخ على توطين الصهاينة في أرض فلسطين ومدّهم بكلّ وسائل الدّعم ومتطلبات البقاء في مواجهة الشعوب العربية مجتمعةً ومَن وقف معها مِن شعوب العالم.

كما أنّ هذه الطبعة تصدر- أيضًا- وقد جرى في نهر العروبة أحداثٌ جِسام كانت الطبعةُ الأولى ومعها حلمنا بزيارة قريبة للقدس المحرّرة مرورًا من بغداد أو دمشق.. وتأتي الطبعة الثانية ونحن لا نستطيع زيارة بغداد ولا دمشق ولا طرابلس ولا صنعاء بعدما دمّرت حروبُ الجاهلية كلّ تلك العواصم وبلدانها تاركةً فلسطين وقضيتها بلا ظهيرٍ ولا سندٍ مِن كلّ الجيوش النظاميّة العربية.

وأمّا فلسطين السليبة نفسُها فقدْ جرت على أرضها أحداث ومواقف ومتغيرات أخر.... فقد أجريت انتخاباتٌ لرئيسٍ وحكومةٍ وبرلمانٍ في الضفة الغربية وغزة وجاءت الانتخابات بمحمود عباس رئيسًا وبحماس أغلبية برلمانية وشكّل الرئيس حكومةً وقوّة أمنية من فتح ولم تقبل حماس في غزة هذا الانحياز من الرئيس ووقعت اشتباكات ثمّ تطوّرت الى حرب بين الفريقين وانتهت بفشل العملية السلميّة للشراكة السياسيّة بين الفريقين الفلسطينين وطالت أيام فلسطين واسْودّت حزنًا على ما جرى وأعلنت الضفة حصارًا قاسيًا على جناحها الشرقي قطاع غزة وكما قال المثل العربي (ولدي قتل ولدي) ما استمرت حالة الحصار حتى ٢٠١٧ حيثُ دُعيت الفصائل إلى القاهرة وأعلِنت مصالحة لم تكتمل بعد حتى هذه اللّحظات.

وخلال هذه الفترة شنّت العصابة الصهيونية عدوانيْن آثمين على غزة وحروبًا كثيرة على المسجد الأقصى وروّاده من المسلمين المصلّين. وفي العموم ازدادت أحوال فلسطين وأهلها صعوبةً ومشقّة وازدادتْ أحوالُ العروبة فرقة واقتتالًا وتراجعًا ممّا يجعل صدور هذه النّسخة عملًا واجبًا للمشاركة فى ترقيق قلوب العرب والمسلمين على فلسطين وأهلها وتحفيزًا للجميع على العودة لجادّة الطريق الطويل نحو تحرير فلسطين.

المؤلف
أ.د/ السيد عبد الستار المليجي
في ١ ديسمبر ٢٠١٧

وعدُ الله وقضاؤه:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

(البقرة: ٤-٧)

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

(الإسراء:١٠٤)

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(المائدة: ٥٢)

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله ربّ العالمين، ولا عدوان إلّا على الظالمين

وبعد،،

فلسطين الحبيبة التي نعمل على تحريرها هي أرضُ المسجد الأقصى، التي احتلّها المستعمرُ البريطاني عقب الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٦م، ثمّ سلّمها للمستعمر الصهيوني عام ١٩٤٨، ولا تزال ترزحُ تحت نيْر احتلاله وظلمِه حتى اليوم، وتقع فلسطينُ على ساحل البحر الأبيض المتوسط، غرب قارة آسيا وتعتبرُ البوابة الغربية للعالم العربي والإسلامي قُبالة أوروبا ومَن يأتون مِن ناحيتها.

ولفلسطين موقعٌ استراتيجيّ مهمّ، إذ تعدّ همزةَ الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطةَ التقاءِ جناحي العالم الإسلامي، كما تتميّز بقربها من أوروبا. ويحدّها شمالًا لبنان، ومِن الشمال الشرقيّ سوريا، وشرقًا الأردن، وجنوبًا مصر، وتبلغ مساحة فلسطين في حدودها المتعارَف عليها حاليًا ٢٧ ألف كم٢.

إن كانَ العالم العربي هو قلبَ العالم أجمع؛ فإنّ فلسطين هي قلبُ هذا القلب.

وهي تتمتّع بمناخ معتدل (مناخ البحر المتوسط)، وهو مناخٌ يشجّع على الاستقرار والإنتاج.

أرضُ فلسطين من أقدمِ المناطق الحضارية في العالم، وحسبَ الاكتشافات الأثريّة الحديثة فهي أولُ أرضٍ شَهدت تحوّل الإنسان إلى حياةِ الاستقرار قبل حوالي ٩ آلاف سنة ق. م، وما زالت معمورةً زاخرةً بالحضارات المختلفة إلى عصرنا هذا.

أقدمُ اسمٍ معروف لهذه الأرض هو «أرضُ كنعان»؛ لأنّ أول شعب سكن هذه الأرضَ ومعروفٌ لدينا تاريخيًّا هُمُ «الكَنعانيون»، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو ٢٥٠٠ ق.م، واسمُ فلسطين هو اسمٌ مشتَقّ من اسْم أقوامٍ بحرية، لعلّها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحْر إيجة حوالي القرن الثاني عشر ق.م؛ هـربًا مِـن صقيـع الشّمال وثلوجه، ووردَ اسْمُها في النقـوش المصـرية

بـاسم «ب ل س ت»، وربما أضيفتِ النّون بعد ذلك للجمْع، وقد سكنوا المناطق الساحلية وانْدمجوا بالكنعانيّين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثرٌ مميّز سوى أنّهم أعطوا الأرضَ اسمَهم.

عندما دخلت فلسطين تحتَ الحكم الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدّت جزءًا من بلاد الشام؛ حيث قسّمت الدولة إلى سبعة أمصار، وكانت بلادُ الشام أحدَ هذه الأمصار، وقد ظلّت فلسطين جزءًا أصيلًا في الدولة الإسلامية، ومتفاعلًا مع تطوّراتها السياسية والحضارية. ولم يكن تغيّر الدول والأسرِ الحاكمة ليؤثر على حقيقة أنّ أهل فلسطين عربٌ مسلمون موالون لدولة الإسلام وحكم الإسلام.

وكان مِن عادة العرب أنْ يطلقوا على أرض فلسطين اسم «سوريا الجنوبية»؛ وذلك باعتبارها جزءًا من سوريا (بلاد الشام). وفي أثناء عهدِ الحكومة العربية في دمشق، منذ أوائل أكتوبر ١٩١٨ حتى يوليو ١٩٢٠؛ كانت فلسطين- رغم الاحتلال البريطاني- ممثّلة في المؤتمر السوري العام. وأول جريدة عربية ظهرت بعد الاحتلال البريطاني حملت اسم «سوريا الجنوبية» وكان الكثيرُ من رجالات فلسطين في دمشق، ومنهم نواب في المؤتمر السّوري الذي أعلن استقلال سوريا في ٨ من مارس ١٩٢٠. ولم يغبْ هذا الاسم عن فلسطين إلّا بعد معركة ميسلون، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وسقوط الحكم العربي فيها (يوليو ١٩٢٠).

وتحتَ الاحتلال البريطاني تعيّنت الحدود بين فلسطين من جهة، وبين لبنان وسوريا من جهةٍ أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي- البريطاني، المنعقد في ٢٣ من

ديسمبر، وقد حدثَ عليها بعضُ التعديل عام ١٩٢٢ – ١٩٢٣، أمّا حدود فلسطين مع شرق الأردن فقد حدّدها المندوب السامي البريطانى المحتلّ لفلسطين وشرق الأردن في الأول من سبتمبر ١٩٢٢. وفي هذا التحديد بلغت مساحة فلسطين ٢٧٠٠٩ كيلو مترات مربّعة، وبلغت حدودُ فلسطين مع شرق الأردن ٣٦٠ كم، ومع سوريا ٧٠ كم، ومع لبنان ٧٩ كم، ومع مصر ٢١٠ كم، أمّا الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط فيبلغ طوله ٢٢٧كم.

وأرض فلسطين التي تدور عليها معركةُ التحرير اليومَ تقسّم إلى ثلاثة قطاعات طوليّة رئيسة هي: السهل الساحلي، والمرتفعات الجبلية الوسطى التي تشغل معظم مساحة فلسطين، والأخدود الأردني. ويضيق السّهل الساحلي بمحاذاة جبل الكرمل عند حيفا إلى ٢٠٠ مترًا، ويتّسع جنوبًا ليزيد عرضُه عن ثلاثين كيلو مترًا في منطقة غزة، وهي منطقة تركّز سكاني واقتصادي كبير، وفي الوقت الحالي يتركّز حوالي ثلاثة أرباع سكان فلسطين فيه، أمّا مرتفعات وسط فلسطين فهي تشملُ جبال نابلس وجبال الخليل وهضبة النّقب، ويبلغ ارتفاع جبالها إلى حوالي ألف متر، وفي سلسلة جبال الجليل شمال فلسطين تقع أعلى قمم جبال فلسطين؛ حيث يرتفع جبل الجرمق إلى ١٢٠٨ أمتار.

ويمتدّ الأخدود الأردني مسافة ٤٦٠ كم من قواعد جبل الشيخ شمالًا إلى خليج العقبة جنوبًا، وعلى طول الحدود الأردنية الفلسطينية. ويجري نهر الأردن في جزئه الشمالي ليدخل في بحيرة طبَرية، ثمّ يخرج منها ليصبّ في البحر الميت على منسوب يقلّ عن ٣٩٥ مترًا تحت سطح البحر، أمّا البحر الميت فينتشر على مساحة

٩٤٠ كم٢، ومياهه أشدُّ ملوحةً من أي بحر أو بحيرة أخرى على وجه الأرض، ولا توجد فيه حياة بحرية. ومنطقة غور الأردن والبحر الميت هي أكثر المناطق انخفاضًا عن سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، وفي هذه المنطقة من الجانب الفلسطيني تقع أقدمُ مدينة في التاريخ وهي مدينة أريحا، التي نشأت حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد، وإلى الجنوب من البحر الميت يستمرّ هذا الأخدود أكثر من ١٥٠ كم، وهو ما يُطلق عليه وادي عربة، غير أنّه كلّما اتجه جنوبًا كلما زاد ارتفاعًا، ثمّ يبدأ بالانخفاض من جديد إلى أن يصل إلى مستوى سطح البحر على شاطئ العقبة.

أعلن الصهاينة دولتَهم «إسرائيل» في مساء ١٤ من مايو ١٩٤٨، وتمكّنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مثّلت نموذجًا لسوء القيادة، وضعف التنسيق، وقلّة الخبرة القتالية في حقبةٍ تاريخية اتّسمت بالتفكّك والتخلّف العربي، ووقوع عددٍ من الدول العربية تحت النفوذ الاستعماري واستولى الصهاينة على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشرّدوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانَهم من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون في هذه المنطقة. وأحرقوا ثمّ دمروا ٤٧٨ قرية فلسطينية من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة في المنطقة المحتلة، وارتكبوا ٣٤ مجزرة إجرامية ضدّ سكان فلسطين المدنيّين العُزّل.

أمّا بالنسبة لما تبقى من فلسطين، فقد قامت الأردن بضمّ الضفة الغربية رسميًّا إليها (٥٨٧٨كم٢) كما وضعت مصرُ قطاع غزة (٣٦٣ كم٢) تحتَ إدارتها.

كانت حرب يوليو/ حزيران ١٩٦٧ هزيمة مرّة للأنظمة العربية، ففي بضعة أيام ضاعتْ باقي فلسطين، فسقطت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وقطاع غزة، وتمّ تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني، كما سقطت الجولان السورية (١١٥٠كم٢) وسيناء المصرية (٦١٦٩٨كم٢).

واصل الكيانُ الصهيوني تهويد أرض فلسطين بشكل حثيثٍ، وسعى لاجتثاث هويّتها الإسلامية ومعالمها الحضارية، فقد صادر حوالي ٩٧٪ من الأرض التي احتلّها سنة ١٩٤٨ بما في ذلك أراضي وأملاك الفلسطينيّين الذين قام بتشريدهم، ومعظم الأوقاف الإسلامية، والكثير من أراضي مَن بقي مِن العرب هناك، وبنى الصهاينة ٨٥٦ مدينة وقرية استيطانية في الأرض المحتلة ١٩٤٨، وبعد حرب ١٩٦٧ صادر الصهاينة أكثر من ٦٠٪ من مساحة الضفة الغربية، بنى فوقها ١٩٢ مستعمرة، كما صادر ٣٠٪ من مساحة قطاع غزة، وبنى فوقه ١٤ مستوطنة، وبينما حرَم الكيان الصهيوني أبناءَ فلسطين من العودة إلى أراضيهم، فتح أبوابَ الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فهاجر إليها أكثر من مليونين و٨٠٠ ألف يهودي خلال الفترة ١٩٤٩- ٢٠٠٠ ليبلغ العددُ الكلي لليهود حوالي خمسة ملايين.

ركّز الصهاينة على تهويد مدينة القدس، فسيطروا على ٨٦٪ منها، وملأوها بالمهاجرين اليهود (٤٥٠ ألف يهودي مقابل ٢٠٠ ألف فلسطيني حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٠). وفي منطقة القدس الشرقية- حيث المسجد الأقصى- أسكنوا نحو ٢٠٠ ألف يهودي بعد أن أحاطوها بسورٍ من المستوطنات اليهودية يعزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وأعلنوا أنّ القدس عاصمة أبدية للكيان

الصهيوني، واهتمّ اليهود الصهاينة بالسيطرة على المسجد الأقصى، فصادروا الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق)، ودمّروا حيَّ المغاربة المجاور له، وصادروا أرضَه، وأنهوْا حتى الآن عشرَ مراحل من الحفريّات تحت المسجد الأقصى، وحفروا أربعة أنفاق بشكل يهدّد بانهيار المسجد في أيّة لحظة، وتشكّل نحو ٢٥ تنظيماً إرهابيًّا يهوديًّا يهدف إلى تدمير الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانَه، وقاموا خلال ١٩٦٧ – ١٩٩٨ بأكثر من ١١٢ عملًا عدائيًّا ضدّ المسجد الأقصى (٧٢ منها بعد اتّفاق أوسلو ١٩٩٣)، وكان أشهر الاعتداءات حرقَ المسجد الأقصى في ٢١ من أغسطس ١٩٦٩. ولعلّ الصراع الدّولي التاريخي الذي دار على هذه الأرض لا يدع مجالًا للتشكيك في أهميتها الاستراتيجية القصوى؛ مما جعل العالم أجمعَ يتصارع على امتلاكها والسيطرة عليها.

وفلسطينُ أرضٌ خصبة في منطقتها الشمالية والوسطى، ولها كلّ خصوبة وخضرة بلاد الشام، وفيها تنمو أشجار الزيتون، والموالح والتّفاح والرّمان ومحاصيل أخرى كثيرة؛ فهي في الأصل جنةٌ خضراء، حوّلها الطغاة والبغاة المستعمرون إلى مزرعة للبنادق والرشاشات والمجنزرات وكلّ آلات الموت والدمار.

وفي أرض فلسطين كنيسة القيامة وبيت لحم (مسقط رأس نبي الله عيسى عليه السلام) كما تزخرُ فلسطين بمقابر الأنبياء والصالحين وصحابة النبي ﷺ وحواري الأنبياء السابقين.

واليوم بمناسبة مرور ٧٠ عامًا على هذا الاحتلال ننشر هذا الكتاب؛ للتذكير بثوابت القضية الفلسطينية التاريخية والشرعيّة والقانونيّة، ولنلقي الضوء على

جهاد الشعب الفلسطيني والعربي في مواجهة الاحتلال الصهيوني المدعوم بكلّ قوى البغي في العالم، وكذلك لإلقاء الضوء على ما يجبُ علينا جميعًا أن نتعاون عليه حتى ينتهي هذا الاحتلال، وتتحرّر فلسطين.. كلّ فلسطين.. مِن النهر إلى البحر.

والله غالبٌ على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(المائدة: ٥٢)

المؤلف

أ.د/ السيد عبد الستار المليجي